عيسى بـــن عمـــر الثقفـــى

بقلم : الدكتور عبد الحسين المبارك

نســـــبه :

هو أبو عمرو وقيل أبو سليمان[1] عيسى بن عمر الثقفـــى، النحوى البصرى ، كان مولى خالد بن الوليد المخزومى ، ونزل فى ثقيف فنسب اليهم[2] ، وقيل كان من ثقيف ، وهو من ولد الحكـم ابن عبدالله الاعرج الذى روى الحديث[3] .

مشايخـــه :

أخذ عيسى بن عمر عن أبى عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن أبى اســحاق الحضرمى ، وروى عن الحسن البصرى ، والعجاج بـــن رؤبة ، وعبدالله بن كثـير ، وابن محيصن .

تلامذتـــه :

روى عن عيسى بن عمر كل من الاصمعى ، والخليل بن أحمد الفراهيدى كما أخذ عنه امام النحاة سيبويه[4] . ومن معاصريـــه

١ـ انظر : نزهة الالباء ٢١

٢ـ انظر : وفيات الاعيان ٣/١٥٤

٣ـ انظر : انبـاه الرواة ٢/٣٧٤

٤ـ انظر : بغية الوعاة ٢/٢٢٩ ، ووفيات الاعيان ٣/١٥٥

الذين أفادوا منه يونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الاخفش ، وأبو زيد الانصارى ، وأبو جعفر الرؤاسى • وروى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤى ، وهارون بن موسى النحوى ، وسهل بن يوسف ، وعبيد بن عقيل ، وشجاع بن أبى نصر(٥) •

نشأته :

وحياة عيسى بن عمر لم تسعفنا المصادر قديمها وحديثها فى أعطاء صورة مكتملة الجوانب عن نشأته ، وثقافته الاولى ، فلم يحدد تاريخ مولده ، كما لم نحصل على معلومات عن أسرته • غير أنا نعرف أنه نشأ فى البصرة ، وشهد التقلبات السياسية، والتبدلات الاجتماعية فى أخريات العصر الاموى •

والذى سنراه من أهتمام الرجل بالنحو واللغة ، ودرايته بأساليب العربية لا نستبعده ، ولا نستغربه من عيسى بن عمر ، فلم يكن النحو فى عصره مستقلا عن العلوم اللغوية • ومما لا شك فيه أن أمتزاج النحو باللغة فى دراسات المتقدمين شىء طبيعى• فاستقلال البحث اللغوى عن الدراسات النحوية لم يتم الا فى مرحلة متأخرة •

لذا فرغم ما قيل عن كتابى عيسى (الاكمال) و (الجامع) من اتصاف بالنحو لا يفصلهما عن الدراسات اللغوية التى نشأت آنذاك ، وان لم يكن لدينا دليل مادى نستند اليه فى قولنا هذا لضياع مصنفات عيسى •

لقد عاش عيسى بن عمر عقدا ونصف عقد من عمره فى ظلال الخلافة العباسية بعد أن أنتهى امر الامويين فى المشرق• وفى

٥ـ انظر : وفيات الاعيان ٣/١٥٤

مدينة البصرة مركز الثقافة العربية الاصيلة ، ومنبع الدراسات اللغوية الجادة اذ التقى هنا بأبى عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن أبى اسحاق الحضرمى ، والحسن البصرى ، والعجاج وغيرهم كما التقى بـه الخليل وسيبويه والاصمعى .

أما دراسته فقد شملت القراءات القرآنية والتفسير واللغة والحديث والنحو ، ورواية الشعر ونقده ، فقد عرفناه ناقدا لشعر النابغة[٦] . ناظرا فى شعر الفرزدق[٧] وذى الرمة[٨] وغيرهم .

ولولعه بالقراءات أثر محمود فى أحاطته بها ، ولا نستبعد أن يكون حفظه للقرآن الكريم قد عزز من ملكة النقد والتوجيه عنده ، وقوى براعته فى العرض ، وادراك الفروق بينها ، وزاد من دقته فى التحليل والمناقشة .

كل هذه العوامل مجتمعة جعلت عيسى بن عمر ، وفى مثل تلك الفترة من الزمن رجلا يحمل ثروة من اللغة ندر أن نجد لها مثيلا وان كنا لا نوافقه فى سعة قياسه واطراده ، اذ سيتضح لنا فيما بعد كيف كان عيسى يقيس لغة العرب حتى على الشاهد الواحد ، مما عزز رأى بعض المحدثين بالرجوع اليه فى استنباط أحكامهم حول نشأة المذهب الكوفى[٩] وهو حكم فيه من المبالغة ما فيه .

٦ـ انظر : انباه الرواة ٢/٣٧٥

٧ـ انظر : مثلا ـ الكامل ـ للمبرد ١٢٠ـ١٢١

٨ـ انظر : أضداد الانبارى ١٨٦ والخصائص ٢/٤٦٧

٩ـ انظر مثلا ـ الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ـ ٣٦٤

أقـوال العلمـاء فيـه :

أغلب من أرخ لعيسى ذكر أنه كان فصيحا ذا تعقيد فـي كلامه ، يميل الى الغريب فيه(١٠) .

وقد عده السيرافى من طبقة ابى عمرو بن العلاء(١١) كمـا فعل ذلك القفطى(١٢) بعد أن قال عنه «كان من قراء أهل البصـرة ونحاتها ، وكان عالما ..» .

ولـم ينسه يحيى بن المبارك اليزيدى(١٣) حينما أشاد بذكـر اساتذة النحو :

يـا طالب النحو الا فابكـه ... بعـد ابـى عمـرو وحمـاد

وابن ابى اسحاق فى علمـه ... والزين فـى المشهـد والنـاد

عيسى واشـباه لعيسى وهل ... ياتى لهـم دهـر بانـداد

ويونس النحـوى لا تنسـه ... ولا خليـلا حيـة الـوادى

وقال يحيى بن معين(١٤) : «عيسى بن عمر بصرى ثقة» .

أمـا ياقوت(١٥) فقد وصفه «بانه عالم بالنحو والعربيـة والقراءة مشهور بذلك» . وذكر مثل هذا عنه ابن الانبارى(١٦) .

١٠ـ انظر مثلا ـ اخبار النحويين البصريين ٢٥ ـ و ـ المعارف ٥٤٠ ـ و المزهـر ٢/٣٩٩ ـ

١١ـ انظر : اخبار النحويين البصريين ٢٥

١٢ـ انظر : انباه الرواة ٢/٣٧٥

١٣ـ نزهة الالباء ٢٣

١٤ـ انباه الرواة ٢/٣٧٦

١٥ـ معجم الادباء ٦/١٠٠

١٦ـ نزهة الالباء ٢١ والانصاف ١/١٦٤

كما وصفه أبو الطيب اللغوى بالفصاحة(١٧) ٠

وفاتـــه :

مـات أبو عمرو بن عيسى سنة تسع واربعين ومائة للهجـرة فى خلافة المنصور ، قبل أبى عمرو بـن العـلاء بخمس سـنين أو ستـ(١٨) ٠ وهو شبه أجماع عند المؤرخين فى تحديد سنة وفاتـه، فقد ذكر السيوطى قولا اخر حدد بموجبه وفاته بعام خمسـين ومائـة(١٩) ٠ وهى رواية لم يذكر السيوطى سنده فيها ٠

وكان سبب وفاته ما انتابه من آلام وسقام نتيجة ايذاء عامـل ابن هبـيرة اياه ، وهو ما سنشير اليه فيما بعد ٠

مصنفاتـــه :

ذكر القفطى(٢٠) أن لعيسى بن عمر نيفا وسبعين مصنفا، عدمت ومنها تصنيفان كبـيران اسم احدهما (الاكمال) والاخر (الجامع) ويقال أن (الجامع) هو كتاب سيبويه ، زاد فيه وحشاه ٠ وسـأل مشايخه عن مسائـل منه أشكلت عليه فذكرت له فأضافها ، وانـه لمـا أحضره الى الخليل بن أحمد ليقرأه عليه عرفه الخليل، وانشد:

بطـل النحـو جميعا كلـــه غـير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك «اكمال» وهذا «جامع» فهما للناس شمس وقمـر

١٧ـ مراتب النحويين ٢١

١٨ـ انظر مثـلا : معجم الادباء ٦/١٠٠ ، انباه الرواة ٢/٣٧٧ ووفيات الاعيـان ٣/١٥٦ ، والكامل لابن الاثير ٥/٢٢٨ والفهرست ٤١ ، ونزهة الالباء ٢٣ والمعارف ٥٤٠ والبلغة فى تاريخ أئمـة اللغة ١٨١

١٩ـ انظر : المزهر ٢/٤٦١ والبغية ٢/٢٣٨

٢٠ـ انباه الرواة ٢/٣٧٥

فأشار الى الجامع بما يشار به الى الحاضر ، وهى لفظة «هذا» .

وأضاف القفطى[٢١] : «.. ويقال ان أبا الاسود لم يضع من النحو الا باب الفاعل والمفعول فقط ، وان عيسى بن عمر وضع كتابه على الاكثر وبوبه وهذبه ، وسمى ما شذ عن الاكثر لغات» .

وذكر نفس الرواية السالفة ابن خلكان[٢٢] بقوله : «ان سيبويه أخذ هذا الكتاب ـ أى الجامع ـ وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، ولما كمل بالبحث والتحشية نسب اليه ، وهو كتاب سيبويه المشهور» .

ثم ذكر قصة الخليل وسيبويه قائلا : ان سيبويه لما فارق عيسى بن عمر ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنفات عيسى بن عمر فقال له سيبويه : صنف نيفا وسبعين مصنفا فى النحو ، وان بعض أهل اليسار جمعها ، وأتت عنده عليها آفة فذهبت بها ولم يبق منها فى الوجود سوى كتابين أحدهما اسمه «الاكمال» ، وهو بأرض فارس عند فلان ، والاخر «الجامع» وهو هذا الكتاب الذى اشتغل فيه واسألك عن غوامضه ، فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : رحم الله عيسى ، وأنشد البيتين[٢٣] .

أما ياقوت[٢٤] فقد قال حول الكتابين «وهذان كتابان ما علمنا احدا رآهما ولا عرفهما غير ان ابا الطيب اللغوى[٢٥] ذكر فى كتابه أنهما مبسوط ومختصر وذكر عن المبرد أنه قال : قرأت أوراقا من أحد كتابى عيسى بن عمر» .

٢١ـ انباه الرواة ٢/٣٧٥

٢٢ـ وفيات الاعيان ٣/١٥٥

٢٣ـ المصدر نفسه

٢٤ـ معجم الادباء ٦/١٠١

٢٥ـ مراتب النحويين ٢٣

وذكر ابن النديم[٢٦] الكتابين غير أنه سمى «الاكمال» بـ «المكمل» ثم قال : «وقد فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم تقع الى احد علمناه ، ولا خبر احد انه رآهما» .

ويحتمل ان يكون ابن النديم وياقوت قد استقيا خبرهما من رواية السيرافي[٢٧] حين قال : «وهذان الكتابان ما وقعا الينا ولا رأيت احدا يذكر انه رآهما» .

ومثل ذلك قال به أبو البركات الانباري[٢٨] ، كما ذكر السيوطي[٢٩] قول المبرد السالف وزاد فيه : «وكانا كالاشارة الى الى الاصول» فهما اذن لم يكونا الكتابين الوحيدين اللذين وصلا الى علم المتقدمين من علماء النحو واللغة ، ولكن سبقتهما محاولات في جميع اصول النحو واللغة حتى جاء عيسى بن عمر وصنف كتابيه معتمدا في ذلك على الاصول التي سبقه فيها غيره .

يتضح من تلك الاقوال أن كتب عيسى بن عمر لم يفد منها الدارسون للنحو واللغة عدا الخليل وسيبويه اذ لم نجد لها أثرا بعد ذلك ، كما أننا لا نملك من الدلائل الاكيدة ما يجعلنا نقرر ان كتاب سيبويه هو «الجامع» لاننا لا نعرف عن كتابي عيسى ابن عمر الا اسميهما وبعض اراء عمر التي نقلها سيبويه ، وعن هذه الملاحظة نقرر ان سيبويه اعتمد كتاب عيسى «الجامع» اساسا في تصنيف كتابه فقد صرح سيبويه بالنقل عنه ، وان كانت أقوال عيسى النحوية المصرح بها في «الكتاب» لم تتجاوز السبعة

٢٦ـ الفهرست ٤١
٢٧ـ اخبار النحويين البصريين ٢٥
٢٨ـ نزهة الالباء ٢٣
٢٩ـ المزهر ٢/٣٩٩

أقـــوال(٣٠) . أما روايته عنه فقد اشرنا اليها من قبل وانها بلغت اثنتين وعشرين مرة(٣١) .

وقـد فند الدكتور مهدى المخزومى(٣٢) المزاعم التى تقول ان «الجامع» هو نفسه كتاب سيبويه فقد قال : «ولو كان للجامع وجود فى غـير أذهان الزاعمين لتحدث عنه الدارسون من أصحاب الخليل او اصحاب سـيبويه ، ولو كان «الجامـع» هـو اسـاس «الكتاب» لمـا كان لرواية سيبويه عن عيسى فى «الكتاب» «وجه» .

ونحن وان لـــم نسلم بأن عيسى بن عمر ظهر فى شخصيـــة سيبويه فى الكتاب الا اننا لا ننكر انه كان اماما مقدما فى النحـو غـير انه لـم يحالفه الحظ فى الخلود عن طريق المصنفات كمـــا حالف غـيره فى مصنفاتهم ومع هذا فقد نال اعجاب المؤرخـــين والنحاة الاوائـــل الذين احتذوا حذوه فى القياس.

ويظهر مما قدمت ان الحكم على ظهور اراء عيسى بن عمـر او عدم التصريح ببعضها فى كتاب سيبويه لا ينفى المزاعم التـى حاول الدكتور المخزومى تفنيدها بل تجعلنا نتساءل :ـ

١ـ لماذا اختفت جميع مصنفات عيسى بن عمر عن الوجود ؟

٢ـ اذا كان سيبويه قد صرح بالنقل عن عيسى بن عمر فـــى الكتاب فهل فى هذا اثبات للفصل بين «الكتاب» و «الجامع» ؟

٣ـ ما الذى يوحيه قول سيبويه : «والاخر ـ الجامع ـ وهو هذا الكتاب الذى اشتغل فيه ..» ؟

٣٠ـ اعتمدنا فى هذا الاحصاء على ما ذكر استاذنا الدكتور مهدى المخزومـــى فى كتابه ـ عبقرى من البصرة ص ٨١

٣١ـ اشار الى ذلك استاذنا على النجدى ناصف فى كتابه ـ سيبويه امـــام النحـــاة ص ٩١

٣٢ـ عبقرى من البصرة ٨١

مكانتـــه العلميـــة :

ذكرنا ان عيسى بن عمر كان من طبقة أبى عمرو بن العـلاء فى النحو ، وهى الطبقة الاولى التى وضعت للنحو حدودا واحكاما، «وان كان نحوهم لا ينتظم ابواب النحو ومسائله»(٣٣) .

والثلاثة الذين يشكلون الطبقة الاولى ـ كما نعرف ـ هـم عبدالله بن ابى اسحاق (١١٧هـ) وعيسى بن عمر (١٤٩) وابـى عمرو بن العلاء (١٥٤) . وكان عيسى مقدما كاستاذه عبدالله بن ابى اسحاق الذى يقول عنه ابن سلام(٣٤) : « أول من بعج النحـو ومد القياس والعلل» .

ولـم تواته هذه القدرة والدراية بالمسائـل النحوية واللغوية الا بعد دراسة وتتبع للغات العرب ، فقد كان دؤوبا كثير الكتابة، يسهر الليل من اجل ان يعالج موضوعا او مسألة نحوية او لغوية . وقـد قال عـن نفسه : «لقـد كنت اكتـب بالليل حتـى ينقطـع سوائـى»(٣٥) .

وكان عيسى عارفا بالشعر واللغة واساليب العرب من شعراء وغيرهم ، ومن شديد اهتمامه بالشعر موقفه من النابغة الذبيانـى وبعض الشعراء كالفرزدق وذى الرمة والعجاج وغيرهم .

وقيل عنه انه كان يطعن على العرب ويخطىء المشاهير منهـم مثـل النابغة فى بعض اشعاره وغيره(٣٦) .

٣٣ـ عبقرى من البصرة ٧٥

٣٤ـ طبقات الشعراء ١٠

٣٥ـ معجم الادباء ٦/١٠٢ وسوائـى : وسطى

٣٦ـ انظر : وفيات الاعيان ٣/١٥٥ والاضداد للانبارى ٤٢ ومجاز القرآن ١/٥٠ والمزهـــر ٢/٣٠٤

ومما روى عن الاصمعي انه قال : قال عيسى بن عمر لابى عمرو بن العلاء : أنا أفصح من معد بن عدنان : فقال له أبو عمرو: لقد تعديت : فكيف تنشد هذا البيت ؟ :

قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين بدأن للنظار

او «بدين» ؟ فقال عيسى «بدأن» فقال له ابو عمرو : اخطأت • يقال : بدا يبدو : اذا ظهر ، وبدأ يبدأ : اذا شرع فى الشىء، والصواب : «حين بدون للنظار» • وانما قصد ابو عمرو تغليطه لانه لا يقال فى هذا الموضع «بدأن ولا بدين ، بل بدون»(٣٧) •

ونحن لا نسلم بهذه الرواية لاحتمالين : أولهما ان ابن خلكان انفرد بها دون سواه ، وثانيهما ان عيسى تلميذ ابى عمرو وليس من الخلق أن يتبجح بمثل هذا القول بين يدى استاذه ، غير أن الذى نعلمه أن الاصمعى كان الطريق الواسع للرواية عن عيسى ابن عمر، فلا نجد مرجعا يذكر الاصمعى دون ان يرد له رواية عن عيسى بن عمر ، فالاصمعى تلميذ عيسى البار والطريق اليه ، ومع هذا لم يذكر الرواية بمثل هذه الصورة •

ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الرواية قد وصلت ابن خلكان بصورة مخالفة للواقع فربما جرت مفاتشة بين ابى عمرو بن العلاء وتلميذه عيسى بن عمر ولم يحصل ما ينم عن استعلاء او تبجح من جانب عيسى • فقد حضر الاصمعى ـ كما نعرف ـ بعض مجالس عيسى بن عمر مع شيخه ابى عمرو بن العلاء كالذى اشار

٣٧ـ انظر هذه الرواية بالتفصيل فى وفيات الاعيان ٣/١٥٥ ، وجاء فى مجالس العلماء ٣٠٥ واشتقاق اسماء الله ٣٤٦ أن المساءلة جرت بين المازنى وابى عمر الجرمى ، وفى الفاضل ١١٢ ان الاصمعى سأل عيسى بن عمر عن البيت• وفى التصحيف ٦٦ ان المجلس كان بين الاصمعى وابى عمر الجرمى •

اليه السيوطى(٣٨) نقلا عن أمالى القالى «حدثنا ابو بكر بن دريد : حدثنا ابو حاتم قال : سمعت الاصمعى يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند ابى عمرو بن العلاء فقال : يا ابا عمرو ما شىء بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى انك تجيز «ليس الطيب الا المسك» بالرفع. قال ابو عمرو : ذهب بك يا ابا عمرو! نمت وأدلج الناس ، ليس فى الارض حجازى الا وهو ينصب ، ولا فى الارض تميمى الا وهو يرفع .

استعماله للغريب :

أغلب من تحدث عن عيسى ذكر انه «كان صاحب تقعير فى كلامه ، واستعمال للغريب فيه»(٣٩) فقد كان يعدل عن سهل الالفاظ الى الوحشى والغريب كما يقول ابن الانبارى(٤٠) ، وخير مثل على هذا قصته مع يوسف بن هبيرة التى اشار اليها معظم المؤرخين(٤١) ؛ وفحواها أن بعض جلساء خالد بن عبدالله القسرى قد استودعه وديعة ، فنمى ذلك الى يوسف بن عمر الذى تقلد الامارة بالعراق بعد خلع خالد بن عبدالله منها ، فكتب يوسف الى واليه بالبصرة أن يحمل اليه عيسى بن عمر مقيدا ، فدعا به وبالحداد ، وأمر بتقييده ، فلما قيد قال له الوالى : لا بأس عليك، وانما ارادك الامير لتأديب ولده . قال : «فما بال القيد اذن !» فبقيت هذه

٣٨ـ انظر : المزهر ٢/٢٧٧

٣٩ـ انظر مثلا : انباه الرواة ٢/٣٧٦ ، وفيات الاعيان ٣/١٥٤ ومعجم الادباء ٦/١٠١ ، والمعارف ٥٤٠ والبغية ٢/٢٣٨

٤٠ـ نزهة الالباء ٢١

٤١ـ انظر : انباه الرواة ٢/٣٧٦ ونزهة الالباء ٢٢ وعيون الاخبار ٢/١٦١ ، والعقد الفريد ٢/٤٨١ ، والبغية ٢/٣٣٨ ومعجم الادباء ٦/١٠١ ووفيات الاعيان ٣/١٥٦

الكلمة مثلا بالبصرة • فلما اتى به يوسف بن عمر سأله عن الوديعة فأنكر ، فأمر به فضرب بالسياط • فلما أخذه السوط جزع فقال : «أيها الامير : ان كانت الا أثيابا في اسيفاط ، قبضها عشاروك» فرفع السوط عنه ووكل به حتى أخذت الوديعة منه ، وأدركه جراء ذلك ضيق النفس ، فكان يداويه باجاص يابس وسكر يضمه في فيه فيسكن ما به • وقد سئل عن ذلك فقال : «أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة فعالجته بكل شيء فما رأيت له أصلح من هذا»(٤٢) •

وكانت هذه العلة التي سببها له ابن هبيرة سببا في وفاته فيما بعد ، فقد حمل آلامها بقية عمره ، فكان الصرع ينتابه من حين لاخر •

ومع ثقل الهموم التي حملها عيسى بن عمر لم ينس ما وطن نفسه عليه من فصيح القول وغريب الكلام •

فمما ذكره القفطي وابن خلكان(٤٣) : «سقط عيسى بن عمر عن حمار له ، وأجتمع عليه الناس ، فقال : ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني» ويروى انه بينما كان في السوق وقع ودار الناس حوله وهم يقولون : مصروع ، مصروع فبين قارىء ومعوذ • فلما افاق من غشيته نظر الى ازدحامهم فقال هذه المقالة ، فقال بعض الحاضرين ان جنيته تتكلم بالهندية •

وحدث عنه الاصمعي قائلا : لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى ابن عمر فقال له : كيف حالك؟ قال : ما تزداد الا مثالة ؟ قال:

٤٢ـ انظر : معجم الادباء ٦/١٠١

٤٣ـ انظر : وفيات الاعيان ٣/١٥٦ وانباه الرواة ٢/٣٧٧

فما هذه المعيوراء التى تركض ؟ يريد ما هى الحمير التى تركب. يقال : معيوراء ، ومشيوخاء ، ومعبوداء»(٤٤) .

وتشاء المصادفات ان يشمل الغريب حتى أسماء الاعلام الذين يستشهد بهم عيسى فى معرض حديثه . فقد قال ابن قتيبة(٤٥): «حدثنى سهل عن الاصمعى قال: كان عيسى بن عمر لايدع الاعراب لشىء. وخاصم الى بلال بن أبى بردة فى جارية اشتراها مصابة ، فقال : لان يذهب بعض حق هذا أحب اليه من أن يلحن! فقال له: ومن يعلم ما تقول ؟

فقال : ابن طرنوبة !» .

فليس بالسهل معرفة ما يريده عيسى بن عمر من مقولته هذه ، ولسنا نعرف من هو «ابن طرنوبة» الذى يعلم ما يقوله عيسى .

وعناية عيسى بالغريب تظهر فى أهتمامه بالرواية وذكر سنده فيها ، وفى الاغلب يكثر من الاستشهاد بالشعر الذى يجد فيه ضالته من الغريب ونسبته الى الشعراء الذين التقى بهم، وايضاح ما قصد من بعض المفردات فى أشعار المتقدمين .

ذكر المبرد(٤٦) : «وأنشدنى التوزى عن الاصمعى :

من ذا رسول ناصح فمبلغ ... عنى عليه غير قبل الكاذب

انى غرضت الى تناصف وجهها ... غرض المحب الى الحبيب الغائب

قال الاصمعى : سألت عيسى بن عمر عن التناصف فقال: هو أن تكون العينان مثل الانف فى الحسن» .

٤٤ـ انظر : العقد الفريد ٢/٤٨٦

٤٥ـ انظر : عيون الاخبار ٢/١٦١

٤٦ـ انظر : الفاضل ٢٨

وقال الاصمعي(٤٧) : أخبرني عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء قال : سمعت ذا الرمة يقول : «قاتل الله امة بني فلان ما أفصحها! قلت : كيف كان المطر عندكم ؟ فقالت : «غثنا ما شئنا» .

وقال الاصمعي(٤٨) ايضا : رضع الصبي يرضع ، ورضع يرضع . قال : وأخبرني عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت لابن همام السلولي :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وكثيرا ما نجد اللغويين يستشهدون في دراساتهم اللغوية بما نسب من قول او شعر الى سماع عيسى بن عمر عن العرب ، او أجتهاده في روايته . فقد ذكر ابن السكيت(٤٩) نقلا عن ابن سلام الجمحي قال أبو عمرو بن العلاء : الدولة (بالضم) في المال ، والدولة (بالفتح) في الحرب . قال : وقال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في الحرب والمال سواء .

وذكر محمد بن القاسم الانباري(٥٠) : واليتن : الذي تخرج رجلاه قبل يديه . قال عيسى بن عمر : سئل ذو الرمة عن شيء فقال للسائل : أتعرف اليتن ؟ قال نعم ، قال : فكلامك هذا يتن : أي مقلوب .

ولم يقف عيسى بن عمر امام الرواية موقف المتقبل لكل ما يقوله العرب . دون ان يعرف وجوه الكلام واستعمالاته ، بل

٤٧ـ انظر : اصلاح المنطق ٢٥٥
٤٨ اصلاح المنطق ٢١٣
٤٩ـ المصدر نفسه ١١٥
٥٠ـ الاضداد ١٨٦

نراه يسأل ويحاور ويتعلم ومن ثم ينقل الرواية كما سمعها . ولهذا فنحن نطمئن الى روايته .

قال ابو فيد السدوسي(٥١) : أخبرني صهر العجاج ـ وكان فصيحا ـ عن العجاج ، وقال له عيسى بن عمر : قد عرفنا الربع فما الهبع ؟ قال : أن مصايف الابل انما تنتج في اخر الزمان، فاذا اتبعتها لم تلحق حتى تهبع . والهبع : اتعاب اليدين في المشى» .

وقد اشرنا من قبل الى درايته بشعر النابغة ومعرفته به، وكذلك أهتمامه بشعر ذى الرمة ، فقد قال عن نفسه : «أملى على ذو الرمة شعرا»(٥٢) .

والذى يمعن النظر فى شواهده واستقرائه للشعر العربى، يجده محيطا أحاطة تامة بغريبه ونوادره ، كما انه استقى معظم ارائه النحوية واللغوية مما سمعه من العرب وبخاصة الشعراء، فقد سمع ابا النجم العجلى ينشد :

أغد لغنا فى الرهان نرسله(٥٣) .

بالغين المعجمة يريد لعلنا .

وكان عيسى عارفا بأساليب الاستعمال العربى عند القبائل، فهو يتحرى عن الاستعمال الشائع فى قبيلة او قوم ليأخذه عنهم؛ جاء فى لسان العرب(٥٤) : «قال أبو زيد أهل الحجاز ، وهذيل،

٥١ـ الامثال ٨٦
٥٢ـ انظر : المزهر ٢/٣٤٩
٥٣ـ انظر : ابدال ابى الطيب ٢/٢٩٧
٥٤ـ لسان العرب ١/١٤

وأهل مكة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما اخذ من قول تميم الا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز اذا اضطروا نبروا» ٠

وقد حفظ لنا عيسى بن عمر كثيرا من نوادر اللغة وغرائبها، ساعده على ذلك قوة حافظة ، وفطنة ونباهة لم توات غيره من المتقدمين ٠ وحفظه لم يختص بالشعر فحسب بل تعداه الى النثر، ففى رواية الاصمعى عنه(٥٥) قال : قال عيسى بن عمر : قالت أم تأبط شرا وهى تبكى عليه : «وا ابناه وا ابن الليل ، ليس بزميل ، شروب للقيل ، يضرب بالذيل ، كمقرب الخيل ، وا ابناه ليس بعلفوف ، تلفه هوف ، حشى من صوف» ٠

وقد فسر ذلك ابن السكيت فقال : قولها «وا ابن الليل» اى صاحب غارات ، «وليس بزميل» أى بضعيف ، «ولا شروب للقيل» أى ليس هو بهياف يحتاج الى شرب نصف النهار ٠ وقولها «يضرب بالذيل» يقول : اذا عدا صفق برجليه فى ازاره من شدة عدوه ٠ وقولها «حشى من صوف» يقول : ليس هو بخوار أجوف ٠ والهوف: من الهيف وهى الريح الحارة ٠ وقولها «بعلفوف» اى الجافى المسن تضمه الرياح فلا يغزو ولا يركب ٠

من آرائه النحوية والصرفية وقراءاته :

ليس لدينا أدلة نعرفها عن الاصول النحوية التى دونها فى مصنفاته التى تجاوزت السبعين ، بل ولا حتى كتابيه «الجامع» و «الاكمال» اللذين لم يصل أحدهما بتمامه الى القرن الثالث

٥٥ـ اصلاح المنطق ٩٢

للهجرة سوى بعض اوراق قرأها المبرد دون ان يذكر ما قرأ منها ·

ونحن فى دراستنا لارائه النحوية لا نملك الا ان نقول كما قال الاقدمون انه صاحب قياس فى العربية عنى به كما عنى به استاذه عبدالله بن ابى اسحاق الحضرمى من قبل «وان فكرة اصطناع القياس اداة لصنع النحو ، وأصلا من أصوله قد داعبت أذهانهما»(٥٦) ·

وليس من اليسير ان نغض من قيمة نحو عيسى الذى كان مشهورا الى عهد سيبويه ، وكيف يكون ذلك وهو شيخ الخليل وسيبويه معا ؟ غير أنه لم يكن ذا حظ كتلامذته ليخلد فى كتاب يحمل اسمه فى المكتبة العربية الان · ولكن بعض أقيسته النحوية ورواياته اللغوية دخلت كتاب سيبويه ، واستشهد بها بعض من أرخ له او من تصدر للتصنيف فى الدراسات اللغوية كالجوهرى، وابن جنى ، وابن السكيت ، وابى عبيدة ، وابن دريد وابى الطيب اللغوى ، وابن منظور ، والسيوطى ، وغيرهم ·

ومما شهر من ارائه النحوية التى ذكرها سيبويه قوله فى بيت الاحوص :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقد قرأه «يا مطرا» يشبهه بقوله يا «رجلا» وجعله اذا نون وطال كالنكرة ، قال سيبويه(٥٧) : «ولم نسمع عربيا يقوله ، وله وجه من القياس اذا نون وطال كالنكرة» ·

٥٦ـ انظر : مدرسة الكوفة ٤٦

٥٧ـ انظر : سيبويه ١/٣١٣ وانظر كذلك ـ امالى الزجاجى ـ ٨٣

ومما نقله عنه ابن دريد(٥٨) : «ومرىء تصغير مرء ، والجمع مرؤون. أخبر بذلك عيسى بن عمر» .

امـــا توجيهه لبعض الآيات القرآنية فقد وجدناه صاحـــب قراءة خاصة ربما خالف فيها كثيرا من القراء ، ومخالفته متأتيـــة من قياساته الدقيقة واطلاعه الواسع على لغة القوم . قال عنـــه ابن قتيبة(٥٩) : «هو من أهل القراءة الا ان الغريب والشعر كـان أغلب عليه ..» .

ومن اشـــهر قراءاته :

١ــ «ان هذان لساحران» :ــ اتفق عيسى مع ابى عمرو بـن العلاء ويونس بن حبيب فى قراءتها على الصورة المذكورة ، فقـد قالوا : انها كتبت هكذا «هذان» كما يزيدون وينقصون فـــى الكتاب، واللفظ صواب . وزعم ابو الخطاب انه سمع قوما مـــن بنى كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين فى موضع الجر والنصب(٦٠) .

٢ــ «حمالة الحطب» :ــ كان عيسى يقول : حمالة الحطب نصب يقول : هو ذم لـها(٦١) .

٣ــ «الزانى والزانية فاجلدوا» :ــ قرأها عيسى بالنصـب، قال ابو الفتح عثمان بن جنى(٦٢) : «وهـذا منصوب بفعل مضمر

٥٨ــ انظر : الاشـتقاق ٣٨٣
٥٩ــ انظر : المعارف ٥٣١
٦٠ــ انظر : مجاز القران ٢/٢١
٦١ــ المصدر نفسه ٢/٣١٥
٦٢ــ انظر : المحتسب ٢/١٣٨

أى أجلدوا الزانى والزانية ، فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله : فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، وجاز دخول الفاء فى هذا الوجه لانه موضع أمر ، ولا يجوز زيدا فضربته لانه خبر» .

٤ـ «ويأمرون الناس بالبخل» بضمتين ، وكذلك قرأ الآية «أليس الصبح بقريب» بضمتين أيضا .

٥ـ «ومكروا مكرا كبارا» قرأها عيسى بالتخفيف(٦٣) .

وبعد فعيسى بن عمر رائد من رواد البحث اللغوى الاصيل، وعالم من علماء البصرة الكبار ، وأول صوت هدر فى الخليج العربى بلسان فصيح ، وجنان غيور على لغة العرب من ان تشوبها لكنة الدخيل .

وليس لنا فى ما قدمنا الا جمع بعض ما تناثر من اراء عيسى ليتبين للقارى العربى مقدار افضاله على عربيتنا . ولم يكن ما سقناه من أمثلة ونوادر عيسى كل ما كان للرجل من علم ودراسة ، فليس لدينا ـ كما قدمنا ـ كتاب يجمع أقواله ، ويلم أشتات غريبه غير ما وجدناه متناثرا فى مصنفات الاقدمين ورواياتهم عنه . وهو قليل من كثير عفت عليه عوادى الزمن .

ورحم الله عيسى بن عمر بقدر ما أفاد ؟

٦٣ـ انظر : اعراب ثلاثين سورة ١١٠

٦٤ـ انظر : المصدر نفسه ١٦٢

مصـــادر البحـث

١ـ الابدال ـ لابى الطيب اللغوى ـ تحقيق عزالدين التنوخى ـ مطبعة الترقى ـ دمشق ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ٠

٢ـ أخبار النحويين البصريين ـ للسيرافى ـ تحقيق طه محمد الزينى وعبد المنعم خفاجى ـ الطبعة الاولى ـ البابى الحلبى ـ ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥

٣ـ أدب الكاتب ـ لابن قتيبة ـ مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٠٠

٤ـ أصلاح المنطق ـ لابن السكيت ـ شرح وتحقيق عبدالسلام هارون ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦

٥ـ الاضداد ـ محمد بن القاسم الانبارى ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠

٦ـ اشتقاق اسماء الله ـ للزجاجى ـ تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ٠

٧ـ الاشتقاق ـ لابن دريد ـ تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ـ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨

٨ـ أمالى الزجاجى ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ مطبعة المدنى ـ القاهرة ١٣٨٢هـ

٩ـ الامثال ـ لابى فيد مؤرج بن عمر السدوسى ٠ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ المطبعة الثقافية ـ القاهرة ١٣٩١ ـ ١٩٧١

١٠ـ اعراب ثلاثين سورة من القران ـ لابن خالويه ـ تحقيق عبد الرحيم محمود ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٠ ـ ١٩٤١

١١ـ انباه الرواة على انباه النحاة ـ للقفطى ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ ـ ١٩٥٢

١٢ـ الانصاف فى مسائل الخلاف ـ لابن الانبارى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥

١٣ـ بغية الوعاة ـ للسيوطى ـ الطبعة الاولى ـ البابى الحلبى ـ القاهرة ١٣٤ ـ ١٩٦٤

١٤ـ البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ـ للفيروز ابادى ـ تحقيق محمد المصرى ـ مطبعة جامعة دمشق ـ ١٩٧٢

١٥ـ الخصائص ـ لابن جنى ـ تحقيق محمد على النجار ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٦

١٦ـ روضات الجنات ـ الخوانساري ـ الطبعة الثانية ١٣٤٧هـ
١٧ـ سيبويه امام النحاة ـ علي النجدي ناصف ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣
١٨ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ـ للعسكري ـ تحقيق عبد العزيز أحمد ـ البابي الحلبي ـ ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣
١٩ـ طبقات الشعراء ـ لابن سلام ـ بيروت ١٩٦٩
٢٠ـ عبقري من البصرة ـ الدكتور مهدي المخزومي ـ مطبعة الجمهورية ـ بغداد ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢
٢١ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ أحمد أمين وجماعته ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧
٢٢ـ عيون الاخبار ـ لابن قتيبة ـ طبعة دار الكتاب ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠
٢٣ـ الفاضل ـ للمبرد ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥
٢٤ـ أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ـ الدكتور أحمد مكي الانصاري ـ المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب ـ القاهرة ـ ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤
٢٥ـ الفهرست ـ لابن النديم ـ نشر غوستاف فلوجل
٢٦ـ الكامل ـ لابن الاثير ـ ادارة الطباعة المينرية بمصر ١٣٥٧
٢٧ـ الكامل ـ للمبرد ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦
٢٨ـ كتاب سيبويه ـ مطبعة بولاق ـ مصر ١٣١٦ ـ ١٣١٧هـ
٢٩ـ لسان العرب ـ لابن منظور ـ طبعة بولاق ١٣٠٠هـ
٣٠ـ مجاز القرآن ـ لابي عبيدة معمر بن المثنى ـ تحقيق فؤاد سزكين ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٥٤
٣١ـ مجالس العلماء ـ للزجاجي ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٦٢
٣٢ـ المحتسب ـ لابن جني ـ تحقيق علي النجدي وجماعة ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٣٨٦ ـ ١٣٨٩
٣٣ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ـ الدكتور مهدي المخزومي ـ الطبعة الثانية ـ البابي الحلبي ـ ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨
٣٤ـ مراتب النحويين ـ ابو الطيب اللغوي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥

٣٥ـ المزهر فى علوم اللغة وانواعها ـ للسيوطى ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار احياء الكتب العربية
٣٦ـ المعارف ـ لابن قتيبة ـ تحقيق د: ثروت عكاشة ط٢ مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٩
٣٧ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموى ـ باعتناء مرغليوث ـ مطبعة هندية بالموسكى بمصر ١٩٢٣
٣٨ـ نزهة الالباء ـ لابن الانبارى ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ مطبعة المدنى ١٩٦٧
٣٩ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨